بل ستتجاوزها، ان عاجلاً او آجلاً، نحو انتاج اسلحة ذرية عربية ايضاً. وكلما تمّ ذلك مبكراً، كان أحسن وأكثر فائدة.

*
* *

ان هذا الوضع الجديد الذي بتنا نعيشه، باحداثه الهامّة والمعطيات التي تشكله، يجعل من العام ١٩٩٠ سنة أخرى، مفصلية، شبيهة بالسنوات ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ و ١٩٨٢، من حيث تأثيرها في تاريخ المنطقة الحديث.

ولا يجوز التقليل من أهمية ما حدث ولا وضعه جانباً؛ ولا الاكتفاء بتوصيفه والتحدث عنه؛ بل العكس من ذلك، ينبغي دعمه وتطويره والافادة منه. فلأول مرة في تاريخ الصراع العربي ـ الاسرائيلي تظهر قوة عربية تستطيع القول «لا» لاسرائيل، ولديها من القوة ما تدعم بها «لاءها». والمعنى العملي لذلك لا ينطوي على تحجيم نفوذ اسرائيل فقط، بل نفوذ من هم وراءها من امبرياليي الغرب، الذين طالما استغلوا هذا القط الاسرائيلي المسمّن لتهديد العرب، وفرض سياسات معيّنة عليهم تصب، في النهاية في مصلحة «اللاعبين الكبار». وهذا الاحتواء للخطر الاسرائيلي لا يخدم مصلحة العراق فحسب، بل مصلحة عرب المشرق عامة، من حيث انه يمكّنهم من انتهاج سياسات استقلالية تخدم مصلحتهم، دون الخوف من ردود فعل الطامعين.

نظرياً، تبدو الطريق ممهدة الى انتهاج مثل هذه السياسات العربية الجديدة، او على الاقل تعديل القديم منها. الاّ ان المسألة لا تقف عند الأسس النظرية فقط، بل تتعداها الى نواح عملية للغاية، تصطدم بالمشاكل المختلفة، داخلياً وخارجياً. ولعل المشاكل التي قد تنجم عن الاوضاع والاعتبارات الداخلية تفوق تلك التي يمكن وصفها بأنها خارجية. فالمنطقة، ونقصد المشرق العربي، تعج بـ «المعتدلين»، من الـ «قادة» او الـ «زعماء»، الخ، الذين ذهبوا بعيداً في «اعتدالهم» وطوّروا تدريجياً نفسية، بل حتى اسلوب معيشة ونمط تفكير، باتوا معه غير قادرين، ذهنياً او نفسياً، حتى على سماع اي حديث عن ضرورة مواجهة التحديات التي تواجه «رعيتهم»؛ وبالتالي راحوا «يتعاطون» الانهزامية، فيعيشون في كنفها، ويبشرون بها. وتكاد تشعر بلسان حال هؤلاء يقول «اللهم حسن الختام»؛ فهم قانعون بما لديهم، همّهم الامتناع عن اغضاب اسرائيل وسادتها. والى جانب هؤلاء تجد طوابير من «المفكرين» و «الكتبة» ممن «يتجلون» وهم يصفون قدرة اسرائيل على البطش، والاضرار التي يمكن ان تلحقها بالعرب، فيثيرون بذلك الرعب والاحباط، دون ان يكلفوا انفسهم، بالمقابل، عناء التفكير في ما ينبغي عمله لاحتواء الخطر، او اقتراح الخطط لذلك، وانْ كانت نظرية. وينبغي ان لا نستغرب، والحال هذا، اذا تحالف هؤلاء الانهزاميون تحت شعارات «الواقعية» و «الاعتدال» وراحوا يفتّون من عضد العراق، او من يؤمن باسلوبه، داعين الى «الحكمة» و «التروّي»، وكذلك، مثلاً، الى نزع السلاح من منطقة الشرق الاوسط، في عالم لا ينزع احد فيه سلاحه، الاّ بعد ان يكون قد استبدله، او استعاض عنه، بسلاح اكثر فتكاً.

غير انه على الرغم من كل هذه العوائق، نرى ان الريح تهب في الاتجاه المعاكس، او، على الاقل، لا يمكن الاّ ان تهب كذلك. فقد بات واضحاً للعيان ان الاعتدال، الذي يخفي ضعفاً، وبالتالي انهزامية، اصبح عديم الجدوى. فالاخطار والتحديات التي يواجهها العرب، على